Abbasid Literature in AL-ADAB JOURNAL (Rhetorical Studies as an example)

Bushra Salam Abdul Reda
Prof. Nasira Ahmed Hamza, (Phd.)
Salambushra429@gmail.com
University of Baghdad - College of Arts

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v3i142.3824

Abstract

Contemporary researchers directed their attention to the rhetorical tradition when they realized the necessity of paying attention to the Arabic language and preservation of it, and the desire to accommodate the beauty of literary texts in it, so the books and writings that interest in it appeared

The rhetorical sciences, and studies interested in rhetorical issues occupied books of criticism and literature, as well as Journals. Cultural and academic studies issued by universities, including AL-ADAB Journal, rhetorical studies have occupied space .A large number of these studies were classified into two types in terms of the nature of research in these issues, the first of which is: studies theorizing, which is concerned with tracing the emergence of rhetorical sciences and the development of its terminology across literary eras in conjunction with history, and secondly: applied studies that take Arabic poetry in the Abbasid era as a field of application

The sciences and arts of rhetoric among the Abbasid poets, and constitute the largest percentage of its predecessor in the Journal, and in the following this research reviews studies including rhetorical issues in Abbasid literature published Al-Adab journal since from its foundation in 1959 to 2010, according to its two categories.

key words: Abbasid literature, Al-Adab Journal, rhetoric, literature.

الأدب العباسي في مجلة الآداب (الدراسات البلاغية أنموذجا)

الباحثة بشرى سلام عبد الرضا
جامعة بغداد – كلية الآداب

أ. د نصيرة أحمد حمزة
جامعة بغداد – كلية الآداب

(مُلَخَّصُ البَحث)

وجه الباحثون المعاصرون عنايتهم بالموروث البلاغي حينما أدركوا ضرورة الاهتمام باللغة العربية والحفاظ عليها، والرغبة في استكناه جمالية النصوص الأدبية فيها، فظهرت المؤلفات والكتب التي تهتم بدراسة العلوم البلاغية، وشغلت الدراسات المهتمة بالقضايا البلاغية كتب النقد والأدب، فضلا عن المجلات الثقافية والأكاديمية التي تصدر عن الجامعات ومنها مجلة الآداب، فقد شغلت الدراسات البلاغية حيّزا كبيرا منها واتخذت تلك الدراسات صنفين من حيث طبيعة البحث في تلك القضايا، أولُها: الدراسات التنظيرية، وهي التي تهتم بتتبّع نشأة العلوم البلاغية وتطوّر مصطلحاتها عِبْرَ عصور الأدب مقترنة بالتاريخ، وثانيها: الدراسات التطبيقية تلك التي تتخذ من الشعر العربي في العصر العباسي مجالا لتطبيق علوم البلاغة وفنونها عند الشعراء العباسيين، وتشكّل النسبة الأكبر من سابقتها في المجلة، وفي ما يلي يستعرض هذه البحث الدراسات المتضمنة للقضايا البلاغية في الادب العباسي المنشورة في مجلة الآداب منذ تأسيسها عام ١٩٥٩ الى عام ٢٠١٠ بحسب صنفيها.

الكلمات المفتاحية: الأدب العباسي، مجلة الآداب، البلاغة، الأدب.

تقديم:

بدأ الاهتمام بالموروث البلاغي عند الباحثين المعاصرين عندما أدركوا ضرورة الاهتمام باللغة العربية والحفاظ عليها، واستكناه جمالية النصوص الأدبية فيها، لذا وجّهوا عنايتهم إلى البحث في التراث البلاغي وتتبّع مراحل نشأته وتطوره فظهرت المؤلفات والأبحاث التي تهتم بدراسة العلوم البلاغية، وشغلت الدراسات التي تهتم بالقضايا البلاغية كتب الأدب والنقد، فضلا عن المجلات الثقافية والأكاديمية التي تصدر عن الجامعات، ومن بينها مجلة كليّة الآداب (محط دراستنا) إِذْ زخرت بالدراسات التي تتناول القضايا البلاغية في الأدب، واتخذت هذه الدراسات صنفين من حيث طبيعة البحث في تلك القضايا:

أولاً: الدراسات التنظيرية: تلك التي تهتم بنشأة العلوم البلاغية وتطور مصطلحاتها، أي بيان الأطوار التي مرّت بها البلاغة العربية عبر عصور الأدب مقترنة بالتأريخ.

ثانيا: الدراسات التطبيقية: وهي التي تتخذ من الشعر العربي في العصر العباسي مجالا لتطبيق علوم البلاغة ومصطلحاتها عند الشعراء العباسيين، وتشكل نسبة أكبر من سابقتها في مجلة كليّة الآداب. وفيما يلي سنتناول البحوث المتخصّصة بالقضايا البلاغية في مجلة كليّة الآداب ضمن المدة المخصصة للدراسة (١٩٥٩-٢٠١٠م) بحسب أصنافها.

الدراسات التنظيرية:

يتصدّر بحث الدكتور أحمد مطلوب(عبد القاهر الجرجاني- حياته وآثاره) (مجلة الآداب، ١٩٧٢: ٥) (Al-Adab Journal, 1972: 5) ، الدراسات التنظيرية، إذ يتناول فيه حياة الجرجاني وآثاره الأدبية متّبعاً في دراسته منهج التنظير النقدي، الذي يقترب في مبادئه من المنهج التأريخي في دراسته لسيرة حياة الأديب وبيئته وأثر ذلك في نتاجه النقدي والبلاغي، فكان حق البحث أن يُدرس ضمن المنهج التاريخي في الفصل الأوَّل، إلا أن الأثر البلاغي للجرجاني في ميدان البلاغة يُحتّم علينا أن نضعه ضمن مبحث القضايا البلاغية من هذا الفصل، لنطّلع على جانب من حياته ومؤلفاته في البلاغة والعلوم المعرفية الأُخرى، ويتضح ذلك المنهج من خلال تقسيم الباحث دراسته على:

أولاً: نشأته وثقافته.

ثانيا: منزلته.

ثالثا: أدبه.

رابعا: وفاته.

خامسا: آثاره، وتشمل (الدراسات القرآنية والدراسات البلاغية، والدراسات النحوية والصرفية والعروضية).

يتناول الدكتور أحمد مطلوب في دراسته عالماً من أشهر علماء البلاغة، بذل جهوداً كبيرة في تطوير هذا العلم والارتقاء به، عن طريق ما ألّف من كتب في البلاغة العربية ومصنفاتها، وقف فيها عند أهم القضايا البلاغية التي أخذت صداها في الدراسات المعاصرة، فكانت "وقفاته عند النصوص الأدبية يبين أسرار جمالها ويحللها محاولا أن يُشعر القارئ بما لها من حسن مقربة له إلى الذوق المعاصر" (بدوي ، د . ت : ٣)

يستهل الدكتور دراسته بالحديث عن نشأته وثقافته، ويتناول في هذا المحور اسمه والمدينة التي ولد فيها بقوله: "هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ولد في المطلع الخامس للهجرة في جرجان وفي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان"(مطلوب، ١٩٧٢: ٥). ولم يذكر الباحث تأريخ ولادة عبد القاهر وذلك لعدم توفر المعلومة في المصادر التي ترجمت لحياته؛ إذْ إنَّ "هذه المصادر لا تذكر مثلا سنة ولادته ولا تتحدث عن أسرته.. وأغلب الظن أنَّهُ ولد في آخر القرن الرابع أو مطلع القرن الخامس"(مطلوب، ١٩٧٢

: ٨)، ثم يستدرك في صفحة تالية من البحث بذكر سنة ولادته فيقول: "إن عبد القاهر ولد حول سنة سبع وسبعين وثلثمائة، فيكون عند وفاته قد أربى على تسعين عاماً"(مطلوب، ١٩٧٢: ٩). وعلى العموم فإنَّ ما يتعلق بحياته وأسرته هي أخبار موجزة وغير واضحة، لا تعطي صورة متكاملة عن هذا العالم المعروف، فلا "ندري من أمر أسرته شيئا سوى أنَّها أسرة فارسية.. ولم تُعنَ الأسرة بتسجيل اليوم الذي ولد فيه طفلها، فظل هذا اليوم مجهولا لدى مؤرخيه"(بدوي، د.ت:٥).

أعطى الباحث كذلك نبذة عن العلم في عصره، وبيّن اهتمام الجرجاني بالعلم والثقافة منذ نعومة أظفاره، وقد استهل كتابه (دلائل الإعجاز) بالحديث عن العلم وأهميته إِذْ يقول: "فإِذَا تصفّحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف ونتبين مواقعها من العِظَم ونعلم أيّ أحقّ منها بالتقديم وأسبق في استيجاب التعظيم، وجدنا العلم أولاها بذلك وأولها هنالك، إِذْ لا شرف إلا وهو السبيل إِلَيْه ولا خير إلا وهو الدليل عليه"(الجرجاني ، ١٩٩٢ : ٤) (مطلوب، ١٩٧٢ :٧). ثم ينتقل الباحث إلى منزلة الجرجاني فيتحدث عن مكانته الجليلة بين رجال ومثقفي عصره؛ إِذْ إنَّ "ما يورده بعضهم من مكانته يجعل المرء يتيقن أنَّهُ كان على خلقٍ كبير، أعجب به مرتادوه، فمكثوا عنده ونهلوا من علمه.. ويتفق سائر من ترجموا له على وصفه بالورع، وإنه ذو دين متين مع ورع وسكون، وينفرد القفطي بوصفه بضيق العطن، لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك" (بني حمدان، ٢٠٠٦ : ٥)، ثم يسترسل الباحث بذكر آراء المتقدمين فيه، ليس في باب البلاغة فقط بل لمنزلته البلاغية والنقدية وجهوده في العلوم والمعارف الأُخرى.

أمَّا في باب الأدب، فيقدّم الباحث الكتب التي ألفها الجرجاني؛ لطغيان النزعة العلمية على تفكيره، ويصف عن طريقها عقليته بقوله: "أننا حينما نقرأ (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز)، نحس أنَّهُ كان كاتباً مقتدراً، يعرض الفكرة ثم يناقش الرأي ويصل إلى هدفه بعبارات متينة لكنها لا ترقى إلى أساليب الكتّاب في عصر ازدهار الكتابة وليست هذه خصائص أسلوبه بصورة عامة، وإنما هي صفته حينما يتحدث عن موضوعات إعجاز القرآن الكريم والرد على الشُبه وافتراءات الطاعنين"(مطلوب ، ١٩٧٢ : ١٤).

ولم تقف عقليته عند تأليف الكتب البلاغية فحسب، بل للجرجاني شعر متناثر وجد في كتب الأدب والتراجم، وهو قليل قياسا بمؤلفاته في مجال الدراسات البلاغية والقرآنية، وقد أورد الباحث نماذجا من أشعاره في موضوعات مختلفة منها اختيار الصديق وشكوى الزمان ومنها قوله(مطلوب ، ١٩٧٢ : ١٧):

أيُّ وقتٍ هذا الذي نَحْنُ فيه قَدْ دَجَا بالقيَاسِ والتّشبيه
كُلَّما سَارت العُقولُ لكي تَقْ طَعَ تَيْهَاً تَوَغّلَتْ في تَيْه

وفيما يخص وفاته، فقد ذكر الباحث تأرجح سنة وفاته ما بين (٤٧١هـ) و (٤٧٤هـ)،إذ يقول: "ولم يزل عبد القاهر مقيماً بجرجان يفيد الراحلين والوافدين عليه الى أن توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة"(مطلوب ، ١٩٧٢ : ١٩)، بمعنى أن الأرجح في سنة وفاته هو في ٤٧١هـ.

وفي المحور الأخير من الدراسة (آثاره) فقد صّنف الباحث الآثار التي خلفها الباحث إلى ثلاث مجموعات هي(مطلوب ، ١٩٧٢ : ١٩، ٢٢، ٣٥):

الدراسات القرآنية: وتضم مجموعة من المؤلفات عرضها الباحث بصورة موجزة، وهي:(كتاب شرح الفاتحة، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور، والمعتضد، والشرح الصغير، والرسالة الشافية) (مطلوب ، ١٩٧٢ : ١٩ ، ٢٠).

الدراسات البلاغية: وفيها عرض الباحث لكتابيه (دلائل الإعجاز) و (اسرار البلاغة) كونهما من أشهر الكتب البلاغية التي نهضت بعلوم البلاغة، وقد "تمسك بهما الدارسون في السنوات الأخيرة لأنَّهم وجدوا فيهما أصول احدث النظريات النقدية التي دعا إليها نقاد الغرب"(مطلوب ، ١٩٧٢ : ٢٣).

ثالثا: الدراسات النحوية والصرفية والعروضية: وقد أورد الباحث عددا من المؤلفات في النحو والصرف والعروض مع شرح موجز لكل منها. ويقال أن للجرجاني كتاباً في الشعر سمّاه (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام)، "وهو كتاب اعتنى بنسخه وتصميمه ومعارضته بالأصول وشرحه عبد العزيز الميمني بعليكرة بالهند"(بدوي، د . ت : ٣٥)، فيه جمع الجرجاني مختارات من أشعار هؤلاء الثلاثة بوصفها من أشرف أجناس الشعر، ولم يذكر الباحث هذا الكتاب ربما لأنَّهُ لم يُذكر في المصادر التي ترجمت لحياة الجرجاني ومؤلفاته. وعموما فإنَّ "الناظر فيما تركه عبد القاهر الجرجاني من مصنفات بلاغية يدرك دونما شك أنَّهُ علم من أعلام التراث القديم، وأن له بصمات واضحة في كثير من الباحثين والدارسين في عصور متأخرة ممن كان لهم اهتمامات واضحة بهذا اللون من الكتابة والتأليف"(بني حمدان ، ٢٠٠٦ : ١).

وأخيرا فقد أجاد الباحث دراسة علمٍ من أعلام البلاغة، برع في علوم شتى كالنحو والبلاغة والأدب والشعر، وتبوّأ منزلة عالية بين علماء عصره، أعانه في ذلك ثقافته الواسعة، وتتلمذ على يد كبار الأدباء والنحويين، أمثال أبي الحسين النحوي الفارسي والشيخ عبد العزيز الجرجاني، فاستطاع الباحث أن يقف عند سيرة حياته ومنزلته قدر الإمكان، على الرغم من قلة ما ذُكر من معلومات حول أسرته وطفولته في أمّات المصادر والمؤلفات البلاغية، فضلا عن اهتمامه بآثاره في مختلف العلوم التي برع فيها الجرجاني، وفق دراسة

منهجية منظمة، فكانت معالجة الباحث لموضوعه موفقة في باب التنظير لحياة العالم عبد القاهر الجرجاني وآثاره.

ويعُنى بحث (تطور البديع) (الآلوسي ، ١٩٧٦: ٥٢)، للباحثة م.م حذام الآلوسي، (تدريسية في قسم اللغة العربية بكليّة التربية– ابن رشد، جامعة بغداد) بمصطلح البديع وتطوره تاريخياً في دراسة تقليدية تستهلها بالتعريف بمصطلح البديع في اللغة والاصطلاح، ثم تسترسل بعرض المؤلفات البلاغية التي عُنيت بفن البديع وتبدؤها بكتاب (البديع) فتقول "إن كتاب البديع لابن المعتز هو أول ما أُلف في البلاغة بشكل منهجي... والبديع عند ابن المعتز ثمانية عشر نوعا..." (الآلوسي ، ١٩٧٦ : ٥٥)، الا ان الواضح في كتاب البديع لابن المعتز أنَّهُ قسّمه على خمسة أبواب فقط، وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين المعاصرين في بحث له إذْ قال: "ويعتبر كتاب البديع لعبد الله بن المعتز من أوائل الكتب المؤلفة فيه، وقد حصر فنونه بخمسة موضوعات هي (الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الإعجاز على الصدور والمذهب الكلامي) وجعل ما سوى ذلك من المحاسن"(الهيتي، ١٩٧٠–١٩٧١: ١٦) (عمر، ٢٠٠٤: ١١٧).

وتسترسل الباحثة في عرض المؤلفات التي عنيت بفن البديع وتقف عند كتاب البديع لأسامة بن منقذ، وتبيّن مذهبه بالبديع بقولها: "والبديع الذي عناه أسامة في كتابه هو تلمَس ما في القرآن الكريم وفي شعر الشعراء الموهوبين من جاهليين والعصور التي تلتها حتى عصر المؤلف ومن أمثلتها نتعرف على الذوق والجمال الفني الذي اتبعوه في استعمال البديع الذي يكسب القول زينةً وبهاءً وجمالا"(الآلوسي ، ١٩٧٦ : ٥٧)، ثم تستعرض فنون البديع لديه مستشهدة بأمثلة لكل نوع منها، وفي معرض حديثها عن تطور فنون البديع الذي تعزيه إلى المشارقة، تُصرّح بأنَّهُ "يرجع فضل تحديد موضوعات البلاغة وتقسيمها الثلاثي إلى مذهب المشارقة وفي مقدمتهم (السكاكي) (٦١٦هـ) (الآلوسي، ١٩٧٦ : ٦٢)"، الذي ورد تاريخ وفاته سنة (٦٢٦هـ) في أغلب المصادر ومنها كتاب مفتاح العلوم.

تنتقل الباحثة إلى القصيدة البديعية للشيخ صفي الدين الحلي المسماة (الكافية البديعية في المدائح النبوية)، لتتبّع فنون البديع عنده إذْ "يعتبر الحلي أول من استعمل المدح الديني لأغراض بديعية نظماً"(الآلوسي ، ١٩٧٦ : ٦٣). ومنهجه في ذلك أنَّهُ لا يشفع أمثلته من البديع بالتفسير والتحليل "وإنّما يقدم تعريفا للنوع البديعي ويورد الأمثلة الشعرية والنثرية المتعلقة به من غير إطناب في إيرادها"(الآلوسي ، ١٩٧٦ : ٦٣). وترصد في بديعيته أيضا أنواع البديع التي جاء بها مع الأمثلة، وتستطرد في ذكر الشعراء الذين نظموا في (البديعيات) بعد الشيخ الحلي، أمثال ابن جابر (٦٧٠هـ) وعز الدين الموصلي (٧٨٩هـ) والحموي (٨٣٦هـ) وصدر الدين علي بن الحسيني بن معصوم.

اتبعت الباحثة منهجا تنظيريا في تتبع فن البديع منذ القرن الثالث وصولا إلى القرن التاسع، والدليل على ذلك أنَّها لم تدرس تطور فن البديع بالتطبيق عند فئة معينة أو شاعر بذاته، بل أنَّها رصدت هذا الفن ومراحل تطوره عند البلاغيين والأدباء مستعرضة مؤلفاتهم في فن البديع مع الشواهد التي وردت، التي لا تخرج عن دائرة التوضيح فقط، فكانت موفقة في طرحها للمعلومات التي تخص هذا الموضوع، إلا أن هناك بعض الملحوظات دونتُها أثناء قراءتي للبحث، أغلبها يتعلق بالجانب المنهجي في تنظيم الدراسة، ومنها أن الباحثة لم تعمد إلى تقسيم بحثها تقسيماً منهجياً إلى فقرات تتناول فيها محاور الدراسة المُراد طرحها، بل عرضت للموضوع بصورة مترسلة من دون تقسيم، واستغنت عن المقدمة التي يمكن أن تكون بضعة أسطر تتصدر الموضوع الرئيس، ولاسيّما أنَّها تبحث في تطور مصطلح لموضوع يقترب من التأريخية، ففي التقديم "تبيان واضح لأهمية الموضوع وأسباب اختياره وتحليل لفكرة البحث وطبيعته العلمية، وفيها عناية تامة بدراسة تأريخية للموضوع منذ بدايته وتطور دراسته والزاوية التي ركزّ عليها الباحث..." (الآلوسي ، ١٩٨٤ : ٥١)، فضلا عن أمور أُخرى تكشف عن طبيعة الموضوع ومضمونه.

ومن اللافت للانتباه أيضا خلو البحث من خاتمة تلخّص أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، من خلال خوضها في موضوع تطور البديع، فلم نجد خاتمة تتناول ذلك وكأن الدراسة لم تنته بعد، بل اكتفت الباحثة بكتابة خلاصة للبحث في مقدمته لكنها تخلو أيضا من النتائج المرجوّة من الدراسة، "إذْ إنَّ أكثر القراء يقرأون الخلاصة فتشدّهم إليها وتدفعهم إلى قراءة المؤلّف وإذَا لم يجدوا فيها ما يتذوقون تركوا المؤلّف غير آبهين بمضمونه"(الآلوسي ، ١٩٨٤ : ٥٣).

أمَّا فيما يخص قائمة المصادر فلم أجد قائمة تضم مصادر البحث، فقط وجدت قائمة بهوامش البحث في نهايته بعنوان (المراجع) . وهناك خلط بين الأقواس التي تضم أرقام الهوامش في المتن، وبين الأقواس المخصصة لتأريخ المولد أو الوفاة فمرّة يكون رقم الهامش بجانب الكلام ومرّة أُخرى فوقه.

إن هذه الملحوظات اليسيرة فيما يتعلق بمنهجية البحث، والذي أدى إلى صعوبة في فهم مضمون المادة المطروحة في مواضع معينة لا يبخس قيمة هذه الدراسة في فن بلاغي أخذ نصيباً كبيراً من التأليف والدراسة. وننتقل الى بحث (حول شيوع ظاهرة البديع في العصر العباسي) (مجلة الآداب، ١٩٨٢: ١٣٣) (Al-Adab Journal, 1982: 133)، للباحث الدكتور ضياء خضيّر عباس، يتناول فيه فن البديع في العصر العباسي وعوامل شيوعه، إذْ تتنوع الآراء وتتضارب حول شيوع هذه الظاهرة، وهناك عدة تفسيرات يطرحها الباحث، يحاول من خلالها التوصل إلى السبب الحقيقي في انتشارها، وأشهر هذه الآراء هو

"ميل المجتمع العباسي في العراق وفارس إلى المبالغة في التأنق والترف"(عباس، ١٩٨٢: ١٣٤)، وقد جوبه هذا الرأي بالرفض من قبل الدكتور محمود غنّاوي الزهيري "لأنَّهُ يرى أن هناك فرقاً بين التأنق في العيش والتأنق في الأسلوب الأدبي"(عباس، ١٩٨٢: ١٣٤)، بل يعزو ذلك إلى الشعب الفارسي الذي يميل بفطرته إلى الزخرفة ويكْلف بها كلفاً شديداً، إذْ "يرى أنَّهُ ما دام الأدب البويهي في جملته فارسيا نشأة وروحا، فإنَّهُ من الطبيعي أن يتأثر منشؤه بهذا الميل العام إلى الزخرفة عند الفرس"(عباس، ١٩٨٢: ١٣٥)، وهنا تجدر الإشارة إلى أن البديع عُرف في الشعر العربي منذ القدم، وعندما قام بتأليف كتابه (البديع) سنة ٢٧٤هـ "ذهب ابن المعتز ينصف القديم وعن هذه الطريق أكد أن البديع لم يكن بدعا مستحدثا وإنّما كان الفضل فيه للقدماء، فالبديع اذن جزء من الموروث الكبير، وهو بهذا ذو أصول راسخة" (عباس، ٢٠٠٦ : ١٠٩- ١١٠). وهذا يعني ان الأدب العربي سابق للأدب الفارسي في معرفة البديع واستعماله.

وقد عزا الباحث كذلك شيوع هذه الظاهرة إلى الشخصية القلقة المضطربة للشاعر العباسي فيقول: "ومن المعروف أن القلق الذي تتكشف عنه شخصية ما، هو انعكاس بهذه الدرجة أو تلك للعصر الذي تعيش فيه تلك الشخصية"(عباس، ١٩٨٢ : ١٤١)، وقد أعطى أمثلة لذلك عدد من شعراء العصر العباسي وهذا تفسير فيه شيء من الضعف.

وأخيرا فإنَّ الباحث يُرجع سبب شيوع ظاهرة البديع في العصر العباسي إلى طبيعة العصر والأوضاع السياسية والاجتماعية التي يمر بها هذا العصر، بقوله: "حيثما يستطيع المد البديعي في أي عصر ان يهيمن على أساليب التعبير الشعري والنثري.. فإنَّ بإمكاننا ان نحزر دونما حاجة إلى الاستعانة بالتفاصيل التأريخية، نوع العصر وشكل السلطة والعلاقات الاجتماعية القائمة، بما فيها من تجبّر وعدوان وافتقار للحرية وتسلّط من قبل الأجانب الغرباء"(عباس، ١٩٨٢ : ١٤٥).

والحق ان طبيعة العصر، ونوع السلطة الحاكمة وما تخلفه من مظاهر سلبية في المجتمع ليست العامل الرئيس والوحيد في شيوع البديع والإفراط في استعماله، بل يمكن أن نعد العامل الحضاري وروح الثقافة التي اكتسبها المجتمع عن طريق انفتاحه على الأمم المجاورة، ومصاهرته لحضارات تلك الأمم وفلسفاتها الذي أدى إلى تغيير في تركيبة المجتمع الثقافية والحضارية، عاملا رئيسا ومهمّاً في شيوع هذه الظاهرة والإفراط فيها، "فالمجتمع العباسي خلق ذوقا جديداً لإنسان العصر وإن هذا الذوق كان له تأثير في تغيير كثير من التصورات والمفاهيم الأدبية، إن الذوق الجديد في العصر العباسي استطاع -على الرغم من كل شيء- أن يفرض نفسه على الحياة الأدبية ومن ثم في النتاج الأدبي نفسه"(الدسوقي، ٢٠٠٨ : ٣٦)، فبدأ الشاعر يميل إلى التفنن في القول والحذق في استمالة أذواق السامعين

بألوان البديع المعروفة واستخدامها كوسيلة في الابتعاد عن التعبير المباشر الذي من شأنّه أن يضفي جمالية على الشعر تستهوي أذواق المجتمع الجديد. وأخيرا، فقد أجاد الباحث معالجة موضوعه عبر بثّه لمختلف الآراء التي قيلت في أسباب شيوع ظاهرة البديع بأسلوب واضح ومناقشتها، بالاعتماد على مصادر مختلفة في الأدب والنقد، بغية التوصل إلى أسباب شيوع فن البديع بين شعراء العصر العباسي ليشكل ظاهرة في أشعارهم.

ولا نغفل بحث (المصطلح البلاغي لدى ابن المعتز) (مجلة الآداب، ٢٠٠٤: ١١٧) (Al-Adab Journal, 2004: 117) ، للباحث الدكتور فائز طه عمر، إذ يسعى فيه إلى بيان أصالة المصطلح البلاغي عند ابن المعتز عن طريق كتاب البديع، فيستهل بحثه بمقدمة لوصف الكتاب ومادته من فنون البديع، "وقد ضم هذا الكتاب خمسة أبواب رئيسة هي الاستعارة والتجنيس والمطابقة، ورد الإعجاز على ما تقدمها والمذهب الكلامي، وألحَق بها ثلاثة عشر فنا آخر عدّها بعض محاسن الكلام والشعر"(عمر، ٢٠٠٤: ١١٧)، أي أن أبواب البديع الرئيسة لدى ابن المعتز خمسة أبواب وما تلاها من فنون أُخرى هي من محاسن الكلام، "وهو بهذا شرع الطريق إلى ابتكار مصطلحات أُخرى لفنون أُخرى في الكلام العربي تدخل في دائرة البديع الذي يشمل فنون البلاغة جميعها مما عرف في زمن ابن المعتز"(عمر، ٢٠٠٤ : ١١٩).

وفي فقرة أُخرى بعنوان (تأصيل)، يتناول فيها الباحث أصالة مصطلح البديع باحثا عن من كان له السبق في وضع هذا المصطلح، فيطرح الباحث آراء تتفق في جملتها على أن فنون البديع عرفت قبل زمن ابن المعتز، فقد وجدت في القرآن الكريم وفي الشعر القديم، وقد أورد الباحث أمثلة تُثبت صحة ذلك، على أن هذا " لا يقلل من أهمية ما حققه ابن المعتز وأثره الكبير في إنضاج المصطلح البلاغي"(عمر، ٢٠٠٤ : ١٢٠).

وفي الفقرة الأخيرة من البحث التي جاءت بعنوان (رأي آخر)، يعرب فيها الباحث عن استغرابه من بعض الباحثين العرب الذين يُنسبون أي منجز عربي معرفي إلى الأمم الأُخرى مدّعين تأثر البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية ولم يتركوا للعربي شيئا، ومن جملة هؤلاء الدكتور صلاح فضل، إذْ يقول: "إنّ أهم مصطلحات البلاغة العربية مأخوذ في جوهره من مبادئ البلاغة اليونانية"(فضل، ١٩٩٨ : ١١).

في حين يرى الباحث ان رأي المستشرق كراتشكوفسكي يقترب من رأي الدكتور إبراهيم سلامة في إثبات الهوية العربية للمصطلحات البلاغية وللبلاغة بشكل عام،"(سلامة، ١٩٥٠ : ٧٢)، فهو يرجّح فيه الأصالة ويُرجع أن ابن المعتز لم يستمده من غيره، ويرى أن أمثلته من صميم الأدب العربي، فضلا عن تأكيد أصالة ابن المعتز في وضعه المصطلحات

البلاغية في البديع دون أي اثر يوناني لكون البديع العربي نشأ في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأ فيها البديع اليوناني كل الاختلاف"(فضل، ١٩٩٨: ١١).

وهنا يقف الباحث موقف المدافع عن البلاغة العربية وأصالتها، ويرد على المشككين في عربيتها بقوله: "وهم بذلك يقعون في خطأ علمي كبير، كثيرا ما أثبت التاريخ بطلانه وعدم قدرته على الوقوف أمام حقيقة أصالة الثقافة العربية الإسلامية عامة، دون أن يعني هذا انغلاق العرب على انفسهم، بل أنَّهم أطلعوا على نتاج غيرهم وهضموه وأخذوا منه ما رأوه مناسبا ومعمقاً لأصالتهم، مما تجلى في جوانب المعرفة وفروعها، ومنها البلاغة ومصطلحاتها"(عمر ، ٢٠٠٤ : ١٢٣). هذا يعني أن ابن المعتز كان له منهج مستقل في النظر إلى المصطلحات البلاغية وتصنيفها "وهو عربي صميم سليم الذوق يعرف الشعر العربي ويتذوقه، وإذَا كان للفلسفة تأثير عليه فإنها لم تستعبده، ولا أفسدت نظرته إلى الشعر كما لم تبعد به عن الحقائق، فمنطقه منهج في التأليف ومنهج في التفكير"(مندور، ١٩٩٦: ٦٨). ومما تقدم نجد أن الباحث قد خاض في دراسة موضوع من أهم موضوعات البلاغة، وهو المصطلح البلاغي وبَحَث في تأصيله عند ابن المعتز، مستحضرا آراء النقاد والأدباء من المعاصرين العرب المبثوثة في كتب البلاغة والنقد، والردّ عليها بالأدلة والحجج المنطقية، وعلى الرغم من كونها دراسة موجزة، الا أنَّها غنيّة بالآراء النقدية التي عُنيت بأصالة المصطلح البلاغي، مبنيّة على منهج علمي وأسلوب واضح في بلوغ الهدف.

الدراسات التطبيقية:

ونستهلها ببحث (تطبيقات البديع عند أبي تمام) (مجلة الآداب، ١٩٧٠- ١٩٧١: ١١) (Al-Adab Journal, 1970 - 1971: 11) ، للباحث حميد مخلف الهيتي، إذ يدرس فيه فناً من الفنون البلاغية هو (البديع) عند الشاعر أبي تمام، إذْ قيل إنَّهُ "شغف به حتى غَلب عليه وتفرعّ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف"(ابن المعتز، ١٩٨٢ : ١). يستهل الباحث دراسته بتقديم يتناول فيه الصراع بين القديم والحديث طالما أنَّهُ يدرس شاعرا من أشهر الشعراء المجددين في العصر العباسي الأوَّل، ليقسم بحثه بعد ذلك على عدّة محاور هي:

– أوّلية البديع ومنزلة أبي تمام فيه، وفيه يستعرض الباحث مصطلح البديع في اللغة كما جاء في القاموس المحيط، ثم يذكر كتاب البديع لأبن المعتز الذي يعدّ من أوائل الكتب المؤلفة فيه، وقد حصر فنونه بخمسة موضوعات هي "الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الإعجاز على الصدور والمذهب الكلامي، وجعل ما سوى ذلك من المحاسن"(ابن المعتز، ١٩٨٢ :٢، ٣، ٣٦، ٤٧، ٥٣). ويعرّف البديع بحسب ما جاء به البلاغيون المتأخرون بأنَّهُ "المحسنات اللفظية والمعنوية في الكلام، ولا يدخلون فيه موضوعات علم المعاني وعلم

البيان"(الهيتي، ١٩٧٠ – ١٩٧١: ١٦). وبعد أن يعرض الباحث لأولية البديع عند أبي تمام وعند من سبقه من الشعراء فإنَّهُ يستنتج أن أبا تمام "لم يكن مبتكرا لعلم البديع ولا منفردا به ولكنه عُني به وأكثر منه وقعّد قواعده في تصنيعه فأرتفق باسمه في عصره، وأصبح كالمبتكر له"(الهيتي، ١٩٧٠ – ١٩٧١: ١٧)، أي ان البديع موجود في القرآن الكريم وفي كلام العرب من الشعر والنثر في زمن سابق لزمن أبي تمام، وهذا ما جاء به ابن المعتز في مقدمة كتابه (البديع) (ابن المعتز، ١٩٨٢: ٣).

أمَّا في الفقرة الثانية من البحث، وهو ما يهمنا في هذه الدراسة (أشهر فنون البديع عند أبي تمام)، فقد وجد الباحث أن "الاستعارة والجناس والطباق هي أشهر فنون البديع التي سلك فيها أبو تمام، وقد اعتمد فيها على المزج والمشاكلة والصياغة المحكمة التي تنمّ عن رؤى فنية أصيلة قلما توفرت لغيره من شعراء العربية"(الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٣)، على الرغم من أن الاستعارة هي من الفنون البيانية، إلا أن ابن المعتز عدّها فناً بديعياً في كتابه(البديع).

فيبدأ الباحث بالاستعارة ويعرفها بحسب ما جاء به النقاد والبلاغيون بأنها "استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي علاقة المشابهة"(الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٤).

وقد ذكر شواهد تطبيقية من شعر أبي تمام موضحا من خلالها ما استحسنه

النقاد والبلاغيون من استعاراته، وما استقبحوه منها ومن أمثلة ما استحسنوه قوله: (عزام، ٢٠٠٩: ١/١١) (الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٤)

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ مِنْهُ وبَعدهَ صحوٌ يكادُ من الغَضَارةِ يُمَطِرُ

وهي صورة جميلة جعل الشاعر فيها صحو السماء يذوب في وسط المطر، مثلما جعل من الصحو بعد المطر بَليلا يكاد يمطر من نضارته، وقد ذكر عدة شواهد على ما استقبحوه من استعاراته ومنها

قوله: (عزام ، ٢٠٠٩: ١ /١٦٦) (الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٦).

فَضَرَبْتَ الشتاءَ في أخْدَعَيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتهُ عَوْدا رَكُوبا

وقد عيب عليه أنَّهُ استعار للشتاء لفظة (الأخدع).

وقد نهج الباحث الأسلوب نفسه في طرقه الفن البديعي الآخر (الجناس)، فأستهله بتعريف الجناس بأنَّهُ "اتفاق الكلمات باللفظ واختلافِها بالمعنى وهو من المحسنات اللفظية في الكلام"(الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٧)، وقد أورد الباحث أمثلة كثيرة لذلك، منها قول الشاعر(عزام ، ٢٠٠٩: ١/١١) (الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٧):

وغَدتْ بطونُ مِنى مُنى من سَيبِهِ وغَدَتْ حَرىً مِنْهُ ظُهُورُ حِراءِ

ثم يتناول مصطلح الطباق كذلك، بتعريفه كما ورد عند البلاغيين بأنَّهُ "إيراد اللفظ وضدّه في الكلام، وإن إيراده العفوي في النصوص البليغة إحسان في العبارة وحلاوة في الأصباغ المستعملة في تلوين الكلام وتزيينه"(الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٢٩).

ومن أمثلة ما أورد له الباحث من شواهد في الطباق قوله (عزام ، ٢٠٠٩: ٣/٢٨٠) (الهيتي ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٣١):

قد ينعِمُ الله بالبَلوى وإنْ عَظُمَتْ ويَبْتَلِي اللهُ بعضَ القَومِ بالنَّعَمِ

ولم يفصّل الباحث بذكر أنواع الطباق الواردة في شعر ابي تمام، بل اكتفى بتناول مصطلح الطباق بصورة عامة أداة من أدوات البديع في شعره مع أيراد شواهد كثيرة . وقد تناول الباحث ألوانا من الفنون البديعية وجدتْ عند الشاعر، إلا أنَّها لم تكن محط اهتمام لديه كالفنون التي ذكرناها آنفا، ويستشهد لكل نوع منها بشاهد من شعره.

ينتقل الباحث إلى فنون التصنيع العقلي التي وجدت في شعر أبي تمام، والتي "انبثقت من خلال عنايته بالأفكار، من أجل ذلك برزت في شعره مسائلٌ عدة يتصل أغلبها بالغموض والتعقيد" (محمد ، ١٩٩٢ : ٤/ ٩٩٢) ، إذْ تتعدد مظاهر التصنيع العقلي عند الشاعر، إلا ان الباحث يكتفي بذكر ثلاثة منها لكثرتها وهي: (الهيتي، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٣٥– ٣٦).

أولاً: الإغراب في التصوير.

ثانيا: الإشارة والرمز.

ثالثا: القياس العقلي والفني.

فيتناول كل مظهر من هذه المظاهر بالشرح الموجز، مع إيراد أمثلة مناسبة لذلك، ثم ينتخب قصيدة عمورية لأبي تمام أنموذجاً تطبيقياً جمع فيه الشاعر بين ألوان التصنيع العقلي له، فيقول: "تكاد براعة أبي تمام في مزجه الجميل بين أدوات تصنيعه كلها تلتقي في قصيدة عمورّية، التي قالها في مدح الخليفة المعتصم بالله العباسي"(الهيتي، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٣٨). وبعد كل ما ذكر من فنون بديعية سواء أكانت لفظية أم عقلية وجدت عند الشاعر أبي تمام، يرى الباحث أنَّهُ يستحق أن يكون ظاهرة فنية شكّلت نشاطا نقديا مؤثرا منذ عصره إلى يومنا هذا، تجلّت في أشعاره ألوان البديع وتطبيقاته وهذا مردّه ثقافة الشاعر ووقوفه على مختلف علوم عصره، ممّا أكسبه لوناً خاصاً في الشعر، فأضحى شعره نمطاً "من التعبير الذي تتداخل فيه الثقافات كما تتشابك فيه معلومات عصره من علوم العربية"(الهيتي، ١٩٧٠ – ١٩٧١ : ٤٢).

وقد أجاد الباحث دراسة فن من الفنون البلاغية تجلّى بوضوح عند شاعر مجدِّد، باحثاً في أسبابه ودوافعه وأصنافه عند الشاعر ابي تمام بالرجوع إلى ديوانه، وانتقاء النصوص الشعرية التي شملت فنونه البديعية، فكانت دراسة وافية مبنيّة على أسس منهجية صحيحة. ومما تجدر الإشارة إليْه أن هذا البحث نُشر في مجلة كليّة آداب المستنصرية (ع/ ٣، السنة الثالثة، ١٩٧٢: ١١).

ونقف عند بحث (المنظور البلاغي في نقد الشعر) (مجلة الآداب، ١٩٩٠: ١٩٥) (Al–Adab Journal, 1990: 195)، للباحث الدكتور ماهر مهدي هلال، (أستاذ الأدب العربي في كليّة الآداب– جامعة بغداد، قسم اللغة العربية)، يتناول فيه نقد الشعر وفق رؤية بلاغية تُستمد من صياغة النص الشعري، ببيان اختلاف الرؤى من قبل البلاغيين في قراءة الشعر ونقده، وذلك بالكشف عن الأساليب البلاغية التي تشكل سمة الإبداع والتميّز لذلك النص.

يبدأ الباحث دراسته بتعريف البلاغة بأنها "علم النص الكلي، والنص منتج لعناصر بلاغته في منظور النقد؛ لأنَّ الشعر أجودُه أبلغُه ولا محيصَ لأيّ منظّر حصيف من الوعي بتنامي الفعل البلاغي والتحولات المحدثة في تراكيب اللغة، بوضعها وضعا مجازيا دالا إلى سياقات كليّة تولد معاني الشعر وتحقق قصدية الشاعر..." (هلال، ١٩٩٠: ١٩٥). وعن طريق هذا التعريف نستطيع أن نستشف العلاقة المتينة بين البلاغة ونقد الشعر فلا يمكن للأخير أن يكون بمعزل عن البلاغة ومجالاتها الواسعة في تفسير النصوص الأدبية وما تتضمن من علاقات تربط بين أجزاء العبارة الشعرية بعلاقة التشبيه أو الاستعارة أو الكناية وما إلى ذلك. وهذا ما أكده الباحث حين أثبت أصالة المعايير البلاغية في العمل الأدبي ووصفها بأنها من جوهر النص الشعري، "إذْ إنَّ الظاهرة الشعرية لغوية في جوهرها، لا سبيل إلى التأتي إليها إلا من جهة اللغة التي تتمثل فيها عبقرية الإنسان وتقوّم بها ماهية الشعر" (عبد البديع، ١٩٨٩ : ٧– ٨).

يتناول الباحث بنية النص البلاغي ويعبّر عنه بأنَّهُ "تزاوج بين المقومات الحسية والعقلية لتبنيّ تصوراً جديدا بإقامة علاقات إسنادية تُذيب شيئية الجزئيات ودلالاتها المباشرة لتحتويها كليّة المدلول النصيّ"(هلال، ١٩٩٠ : ١٩٦).

بمعنى أن النقد اتجه اتجاها جديدا في تحليل النص الشعري من منظور بلاغي يعتمد على الصورة البلاغية، "فالقيمة البلاغية في حكم البيان كائنة في المتغير النوعي للصورة البلاغية في (التشبيه والاستعارة والكناية)، بينما ينظر النقد إلى المتغير الأسلوبي في النوع البلاغي الواحد بقوة مائزة لتفاوت الشعراء في إحكام الصنعة وقدرة التوليد"(هلال، ١٩٩٠ :

١٩٦). وقد أورد الباحث أمثلة من الشواهد الشعرية لثلاثة شعراء تناولوا تشبيه الورد بالخدود والعكس، وقد اختلفت لديهم بلاغة التشبيه وقوته تبعا لاختلاف الصنعة الشعرية.

تطرّق الباحث إلى توظيف معاني النحو في النص الشعري لبيان المعنى المراد، وليس أدلّ على ذلك من "المفهوم الذي قرره عبد القاهر الجرجاني بقوله: إعلم أن ليس النّظمُ إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله.. فلست بواجدٍ شيئا يرجعُ صوابُه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه ووضع في حقه..." (الجرجاني ، ١٩٩٢ :٨١، ٨٢، ٨٣) (هلال، ١٩٩٠ : ٢١٢)، ويريد بهذا ارتباط علمي النحو والبلاغة في نظم الكلام، ولا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر "وذلك أن لكل كلمة وهي منفردة معنى خاصا تتكفل اللغة ببيانه، وللكلمات مركبة معنى هو صورة لما في أنفسنا، ولما نقصد أن نعبر عنه ونؤدّيه إلى الناس"(مصطفى، ٢٠١٤ : ١٧)، وقد استشهد الباحث لذلك بعدّة شواهد منها قول بشار(ابن عاشور، ٢٠٠٧ :٣٣٥/١) (هلال، ١٩٩٠ : ٢١٣):

كـأنَّ مَثَـارَ النّقـعِ فَـوْقَ رُؤوسِـهم وأسـيافَنا ليـلٌ تَهَـاوىَ كَواكَبُـه

مبيّنا بذلك القيم البلاغية في النص عن طريق تآلف المكونات النحوية في هذا البيت.

أمَّا في باب الاستعارة، فقد تناول الباحث مفهوم الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني وكيف تعدّى ذلك في التركيز على "فاعلية السياق في بناء مقاربات دلالية تسوّغ انتقال المعاني واستبدالها بحكم أبنية النظم البلاغية، لا بحكم المقاربات الحسّية"(هلال، ١٩٩٠: ٢١٧)، وقد استشهد الباحث في هذا الموضع بعدة شواهد. منها قول ابن المعتز (شريف، ١٩٧٧ :٢٢٨/١) (هلال، ١٩٩٠: ٢١٧):

أثمَـرت أغصـانُ راحتِـه لِجُنـاةِ الحسْـنِ عُنّابـا

ويريدُ بذلك عدم الإفصاح بالتشبيه لإظهار حسن الاستعارة. وبهذا يستنتج الباحث إجماع "نقّاد الشعر وشراحه على توسل الدلالة في مجريات التراكيب لتكوين الصورة البلاغية، فعمدوا إلى النص في دراستهم التحليلية لا إلى القاعدة، لذلك تداخلت أنساق التشبيه، والاستعارة، والكناية، بحسب صحة التأويل ومقتضيات السياق الدلالية"(هلال، ١٩٩٠ : ٢٢٢)، ومن هذا نفهم أن البلاغة العربية لم تخضع للقياس، بل أنَّها تعتمد على النصوص في استنباط أحكامها ودلالاتها وفق ما يحدده المعنى ويحقق فوائده للمتلقي.

والحق أن الباحث وفق في دراسة موضوع حيوي ومهم وهو نقد الشعر، وفق رؤية بلاغية، تُمثل البلاغة فيه الجانب التطبيقي في تحليل العلاقات اللغوية للنص الشعري، وبهذا تكون البلاغة أداة لا غنى عنها من أدوات العملية النقدية يوظفها الكاتب، للكشف عن القيم الفنية والجمالية للنص، فهي إذن طريقة الكاتب في تشكيل العبارة وصياغتها، ليأتي بعدها

دور الناقد في الحكم عليها وبذلك لا يكون النقد بمعزل عن الرؤية البلاغية في تحليل الشعر ونقده. ومما تجدر الإشارة إليْه أن هذا البحث نشر في مجلة جامعة حضرموت، (ع/٦، مج/٣، ٢٠٠٤) بعنوان (الرؤية البلاغية في قراءة النص).

ونأتي الى بحث (التخييل والتصوير بين عبد القاهر الجرجاني والفلاسفة النقاد) (مجلة الآداب، ١٩٩٦: ١٨١) (Al-Adab Journal, 1996: 181) للأستاذ الدكتور ماهر مهدي هلال، يتناول فيه مصطلح التخييل بعدّه "مفتاح التيه الفلسفي الذي دخله البلاغيون لتأويل جدلية الحس والعقل بين طرفي التشبيه، ونزوع الشعراء إلى قلب الموازنة البلاغية في عقد تنظيراتهم الوصفية على حسية المشبه به بوصفه الأخصّ في الصفة المشتركة مع المشبه لتشكيل الصورة"(هلال ، ١٩٩٦ :١٨١)، أي أنَّهُ يبحث في العلاقة بين المشبه والمشبه به من حيث المحسوس والمعقول عند الجرجاني والفلاسفة النقاد.

تكشف هذه الدراسة عن تلك العلاقة الجدلية، وذلك بأن المحسوس هو أصل للمعقول، ولا يمكن أن يكون خلافا لذلك، "لأنَّ الغرض من التشبيه هو رفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى لا بالعكس، وهذا ما عبرّ عنه السكّاكي بقوله: المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه، وأخصّ بها وأقوى حالا معها، وإلا لم يصُح أن يُذكر لبيان مقدار المشبه ولا لبيان إمكان وجوده ولا لزيادة تقريره"(عصفور، ١٩٩٢ : ٣٣٩).

أمَّا عبد القاهر الجرجاني فقد أباح هذا النوع من التشبيه وذلك بقلب طرفي المعادلة، وغايته في ذلك هو إيهام السامع، ومثال ذلك قول الشاعر: (ناجي، ١٩٨٤: ٦٣) (هلال، ١٩٩٠ : ١٨٣)

وكـــأنّ النجـــومَ بـــين دُجاهـــا سـنٌ لاح بيـــنهن ابتـــداعُ

فالسائد هنا عقليا هو تشبيه السنن بالنجوم، إلا أن الشاعر عكس ذلك فشبّه النجوم بالسُنن من حيث النور والضياء، وقد أورد الباحث رأي الرازي بقوله واستحسانه هذا النوع من التشبيه بقوله: "واعلم ان الوجه الحسن في حسن هذه التشبيهات ان يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل في ذلك المحسوس فلأنه لما شاع وصف السنّة بالبياض والإشراق، والبدعة بخلاف ذلك.. فصار تشبيه النجوم فيما بين الدجى بالسنن فيما بينهن البُدع"(الرازي، ١٩٨٥: ١٩٣) (هلال، ١٩٩٠ : ١٨٣).

وهذا ما ذهب إليْه عبد القادر الجرجاني في فهم طبيعة التركيب التخييلي للتشبيه، ورأيه في ذلك أن "حسيّة طرفي التشبيه وجود حقيقي ليس له قيمة فنية لأنَّ الجنس لا تتغير حقيقته بأن يوجد في شيئين" (الجرجاني، ١٩٩١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥) (هلال، ١٩٩٦ : ١٨٣). تكشف آراء الجرجاني في طبيعة المكون التخييلي لطرفي التشبيه عن تأثير فلسفي واضح، وقد أشار إلى ذلك الدكتور جابر عصفور بقوله: "ولم تكن هذه الفكرة موجودة أو ظاهرة

خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة؛ إذْ إنَّها بدأت تتبلور شيئا فشيئا من خلال تأثر البحث البلاغي بالدراسات النفسية عند الفلاسفة وتدعيم المفهوم القديم للإبانة بسند سايكولوجي يتصل بالدور الذي تلعبه مدركات الحس في تكوين المعرفة الإنسانية"(عصفور، ١٩٩٢ : ٣٤٠). وبذلك يشير الباحث إلى أن الجرجاني جعل مفهوم التخييل مرادفا للتصوير؛ لأنَّ مفهوم التخييل عنده "يبدأ بتناظر الصفات بين الأشكال والصور ويتحول ذلك إلى ما يماثل الوجود الحقيقي فتكون شجاعة الأسد قرين الرجل الشجاع"(هلال، ١٩٩٦ : ١٨٥)، وقد خالفه بذلك الباحث المعاصر شكري عيّاد الذي "عدّ الصورة المتخيلة انبثاق نفسي تتحول فيه الأشياء إلى خلق جديد"(عياد، ١٩٦٧ : ٢٥٨).

وقد تمثل التخييل بمفهومة البلاغي فيما أطلق عليه عبد القاهر بحسن التحليل في التأليف البلاغي، "وهو أن يدّعي في الصفة الثابتة للشيء أنَّهُ إنّما كان لعلة يصنعها الشاعر ويختلقها أمَّا لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور"(هلال، ١٩٩٦ : ١٨٧). وقد مثل الباحث لذلك بقول الشاعر(البرقوقي، ١٩٣٨ : ٢/٢٢٥):

وما ريحُ الرياضِ لها ولكن كسَاها دفنُهم في التُّربِ طِيبا

وهو هنا يشبه كرم الممدوح برائحة الأرض الطيبة، بحسب رؤية الباحث إذ يقول " فعقد مناسبة التشبيه بين كرم أصول الممدوح وعراقتها وبين فوح الشذا من الرياض الطيبة النبت"(هلال، ١٩٩٦ : ١٨٧) إلا أن الشاعر في الحقيقة يعزو طيب رائحة الأرض الى أن أسلاف الممدوح قد دفنوا فيها وهو موضع الإشارة الى حسن التعليل.

أي ان الشاعر وظف عناصر من الوجود لإخراج صورٍ جديدة لم يألفها السامع، وبهذا يكون التخييل ناشئاً عن التصوّر، وقد أجمع عدد من النقاد المعاصرين بالاتفاق على هذا الرأي، وكذلك أورد الباحث رأي ابن سينا في التخييل وربطه بانفعالات النفس الإنسانية، فالتخييل عنده "هو ذلك الأثر النفسي الذي يتركه العمل الأدبي في المتلقي بالإعجاب أو النفور، فهو انفعال من تعجب أو تعظيم أو تهوين أو تصغير أو نشاط من غير ان يكون الغرض بالقول اعتقاده البتة"(كلاع ، ٢٠٠٥: ١٧).

وأخيرا فقد أجاد الباحث تفسير مفهوم التخييل والتصوير عند عبد القاهر والفلاسفة النقاد، وبيان نظرة الجرجاني إلى التخييل بأنَّهُ "تمويه للحقيقة وتصويرها بحسب رؤية الشاعر لها وهو مفهوم يرتكز على رفض الشاعر للمنظور الحسي فيعيد تركيبه بصورة فنية"(هلال، ١٩٩٦ : ١٨٧)، لإثارة المتلقي، وبذلك يكون التخييل معنى للتصوير وينشأ عنه.

وعلى هذا "فالتخييل في مفهوم عبد القاهر الجرجاني لا يقع إلا في المعاني وهو بذلك يفارق مفهوم المحاكاة؛ لأنَّ التخييل يحرّر العقل من قيود المحسوسات فيركّب صورا إبداعية لم تُعرض للحس من قبل"(فرج، ٢٠٠٩: ٤٠٦)، فضلا عن أن هذه الدراسة تكشف لنا

أيضا التأثر الواضح للجرجاني بفلاسفة المسلمين الذين تأثروا بدورهم بفلاسفة اليونان بالنظر إلى التخييل والتصوير، وقد اعتمد الباحث على أشهر المصادر التي تتناول مصطلح التخييل عند الجرجاني وهو كتابه (أسرار البلاغة)، فضلا عن مجموعة من الكتب الحديثة في الأدب والنقد، تلك التي تتناول مفهوم التخييل الشعري منها كتاب (الصورة الفنية) لجابر عصفور.

ونقف عند بحث (الاعتراض والزيادة في شعر أبي تمام) (مجلة الآداب، ١٩٩٧: ١٦٥) (Al-Adab Journal, 1997: 165)، للباحث الدكتور نبيل محمد سلمان، يدرسُ فيه نوعين من الفنون البلاغية وجدتا في شعر أبي تمام هما (الاعتراض والزيادة).

يستهل الباحث الدراسة ببيان آراء البلاغيين في قضية اللفظ والمعنى، ومنهم بشر بن المعتمر في صحيفته فيقول: "وكان بشر بن المعتمر من أقدم من حرّض لملائمة اللفظ للمعنى، فقال في صحيفته: ومن أراغَ معنى كريما فلْيلتمس له لفظاً كريماً، فإنَّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما أو يهجنهما"(هارون ، ١٩٩٨ :١/ ١٣٦) (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٥).

وقد عرض الباحث أيضا لآراء النقاد في معرفة جودة الألفاظ ورداءتها، فقد وضعوا مقاييس في الحكم عليها ومنها "أن تفيد لذلك قيمة واضحة في السياق، الا أن تكون مقحمة فيه، وفي ضوء ذلك عابوا الكلمة الزائدة أو المرادفة التي تأتي حشواً يمكن إسقاطه من الكلام دون أن يخلّ ذلك بمعناه"(سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٥)، بمعنى أن أي زيادة في الألفاظ تعد عيبا، وهو ما اطلق عليه بـ(الحشو)، "وقال قدامة في تعريف الحشو: وهو ان يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إلْيه لإقامة الوزن"(خفاجي ، د . ت: ٢١٨) (سلمان ، ١٩٩٧: ١٦٦).

وقد أشار الباحث إلى شيوع الحشو في شعر أبي تمام بنوعيه (الاعتراض والزيادة)، والاعتراض بمفهومه البلاغي "هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لفائدة غير دفع الإبهام"(العتيق، ٢٠٠٩: ١٩٤). وقد صنف الباحث الحشو في شعر أبي تمام إلى:

أولاً: الاعتراض

أ- الاعتراض بتغيير الترتيب. ب- الاعتراض بالزيادة.

ثانيا: الزيادة

وقد أورد الباحث كل نوع بالتعريف به، ثم إيراد أمثلة يستشهد بها من شعر أبي تمام، فمثال الاعتراض بتغيير الترتيب قوله (الأسمر، ١٩٩٤ :١/٣٦٦) (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٨):

أهـــيسٌ ألـــيسٌ لجّـــاءٌ إلـــى هِمـــمٍ تغـــرق الأســـد فـــي آذيهـــا الليسّـــا

فجملة (في آذيها) اعترضت بين الصفة والموصوف، وهنا يشير الباحث إلى مسألة متعلقة بالاعتراض عند أبي تمام، بأنَّ هذا الوجه البلاغي يمكن أن يُفضي إلى الغموض في شعره، ومثال ذلك ما جاء في قوله (الأسمر، ١٩٩٤ :٢ / ٢٢٥) (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٨):

و والله لا تقضي العيون الذي له عليها، ولو صارت مع الدمعِ أدمُعا

والواضح من هذا البيت أن جملة (الذي له عليها) قد اعترضت بين جملة (والله لاتقضي العيون) وجملة (ولو صارت مع الدمع أدمُعا)، مما أكسب هذا البيت معنى غامضا لدى قارئه بسبب إقحام الجملة المعترضة.

أمَّا القسم الثاني من الاعتراض، وهو ما صنفه الباحث وأطلق عليه (الاعتراض بالزيادة)، فقد ذكر الباحث إن ابن رشيق سماه بـ(الالتفات). "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله...؛ لأنَّهُ ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطابٍ حاضرٍ إلى غائب، أو من خطابٍ غائبٍ إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ"(عبد الحميد ، ١٩٣٩ : ٢/ ١٦٧، ١٦٨). ومما رصده الباحث من جمل اعتراضيه في شعر أبي تمام قوله (عزام، ٢٠٠٩ :١٩/٤)، (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٩):

أقرّوا -لَعَمْري- بِحُكْمِ السيوفِ وَكُانِتْ أحقّ بِفَضْلِ القضاءِ

والظاهر في هذا البيت أن جملة القسم (لعمري) هي الزيادة فيه، ومثل ذلك كثير في شعر أبي تمام وقد تعددت الأمثلة التي أوردها الباحث في هذا السياق. ينتقل الباحث إلى الصنف الثاني من الاعتراض، وهو (الزيادة)، ويعرفه بأنَّهُ "كل عنصر ومركب استعمله الشاعر غير معترض في التركيب وغير لازم فيه، أي قابلا للحذف لتوفّر ما يدل على معناه في السياق أو لعدم تعلق ماله"(سلمان ، ١٩٩٧ : ١٧١).

ويرى الباحث أن أبا تمام مُقل في استعمل الزيادة في شعره قياسا بالاعتراض بقسميه، ومن أمثلة ما استحضره من شواهد في هذا الباب قول أبي تمام في وصف قصيدةٍ (عزام، ٢٠٠٩ : ٩٠/١) (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٧٢):

خذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهذَّبِ في الدُّجَى واللّيْلُ أسْوَدُ رُقْعَةَ الجَلْبَابِ

والزيادة التي يشير إليها الباحث في هذا البيت هي (في الدجى)، فقد عدّها زيادة قابلة للحذف لوجود ما يشير إلى معناها أو تعلقه بها. والملاحظ في الأمثلة التي أوردها الباحث في باب الزيادة، أنَّهُ لا فائدة منها للبيت الشعري سوى إقامة الوزن بسبب طول جمل الشاعر الشعرية التي تحتمل هذه الزيادة.

وأخيرا فإنَّ هذه الدراسة المقتضبة في وجهين من الأوجه البلاغية، التي وجدت عند أشعر شعراء العصر العباسي (أبي تمام)، تعدّ دراسة ذات نفعٍ في مجال الدراسات البلاغية، وقف عندها الباحث وإن لم يكن بشكل مفصّل، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي أُخذت على الباحث يجدر بي أن اذكرها، وأولها هي أنَّهُ لم يسهب في ذكر الأسباب التي دفعت الشاعر إلى اتباع هذا الأسلوب البلاغي في نظم أشعاره مما يتعلق بثقافة الشاعر الواسعة وتمكّنه من الأساليب اللغوية والبلاغية، بل اكتفى بذكْر سببٍ واحدٍ في مقدمة حديثه عن الاعتراض عند أبي تمام وهو قوله: "وسبب ذلك كما يخّيل إليّ ان جملته الشعرية الطويلة واستخدامه الأوزان ذات المساحة الإيقاعية الواسعة دفعاه على وفق النحو الآتي.." (سلمان ، ١٩٩٧ : ١٦٧). وثانيها أن الباحث لم يذكر الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاعتراض ومنها "التنزيه، والدعاء، والتنبيه على أمر من الأمور، والتحسر، والتعظيم"(العتيق، ٢٠٠٩ : ٩٤، ٩٥، ٩٦)، والتي لابد أن يكون لها تطبيقات في شعر أبي تمام. أمَّا فيما يخص تنظيم البحث، فقد أنهى الباحث بحثه بنص مقتبس من شرح التبريزي من دون التعليق عليه، فبدت الدراسة كأنها غير مكتملة.

ولو أخذنا بحث (فن الجناس في المذهب الشعري لأبي تمام) (مجلة الآداب، ٢٠٠٢: ٣٧) (Al-Adab Journal, 2002: 37)، للباحث الأستاذ الدكتور فائز طه عمر، فإنه يتناول فناً من الفنون البديعية يُعنى بتنميق الكلام وتزيينه عند الشاعر المجدد (أبي تمام)، فيقسم الباحث دراسته على النحو الآتي:

- مقدمة في المذهب الشعري لأبي تمام.
- مفهوم الجناس.
- أنواع الجناس في شعر أبي تمام.
- جناس أبي تمام في المعيار النقدي.

يستهل الباحث دراسته بمقدمة يعرض فيها المذهب الشعري لأبي تمام معرّجا على موهبته الفنية وقدرته الإبداعية في نظم الشعر والمستمدة من ثقافته الواسعة والمتنوعة، "فالثقافة هي التي تعمّق تجربة الشاعر، وتمنحها آفاقا أوسع وأقدر على نقل التجربة الشعرية النفسية والموضوعية في نمط لغوي مُصاغ على وفق ما يتطلبه الجمال الشعري للقصيدة أو البيت"(عمر، ٢٠٠٢: ٣٧).

أمَّا في مفهوم الجناس، فيذكر الباحث اهتمام الشاعر بهذا الفن وتزيين شعره به إذْ يقول: "لعل من أكثر فنون البلاغة التي شاعت في شعره الجناس الذي ينبئ عن طبيعة البديع واستعماله في شعره عامة"(عمر، ٢٠٠٢ : ٤٠). وقد أورد آراء البلاغيين واختلافهم حول وضع تعريف محدد للجناس، وبسبب هذا الاختلاف فقد استشهد بأكثر الآراء وضوحا

وشيوعا في اظهار معنى الجناس، وهو ما جاء به الأستاذ علي الجندي بقوله: "لعل أحسن تعريف له وأيسره وأدناه إلى الكمال قول العلوي: هو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما"(العلوي، ١٩١٤ : ٣٥٦/٢).

إن ما يهمنا في هذه الدراسة هو الجانب التطبيقي المتمثل بالفقرتين الثالثة والرابعة من البحث، ففي الفقرة الثالثة ينتقل الباحث إلى تحديد أشهر أنواع الجناس في شعر أبي تمام، لكثرة ما ورد من ألوان الجناس فيه حتى أصبح ظاهرة في شعره إلى جانب ألوان البديع الأُخرى وأسباب ذلك بيّنة للمهتم في شأن ابي تمام وبالتحديد شعره، إذْ "إن ذكاء أبي تمام وسعة اطلاعه ووقوفه على أنماط التصنيع الأوليَّة ووفرة ثقافته سمَت بفنّه إلى حدٍ ملك فيه على عصره رياسة التصنيع دون منازع"(الهيتي، ١٩٧٠-١٩٧١: ٢٣)، مما جعل شعره نسيجا من ألوان التجنيس والمطابقة وغيرها من الفنون البديعية.

ولم يحصِ الباحث جميع أنواع الجناس في شعر أبي تمام، بل ركّز على الأشهر استعمالا فيه، ويقول في ذلك: "وقد اختلف البلاغيون والنقّاد في تحديد التسميات الاصطلاحية لأنواع الأجناس هذه، مما يجعلنا نستند في تحديد أنواع الجناس باصطلاحاتها عند أبي تمام إلى أحد الأساتذة الذين حاولوا تحديد هذه الأنواع على وفق ما استخلصه من دراسته للجناس، ذلك هو الدكتور أحمد مطلوب في كتابه (فنون بلاغية)" (عمر ، ٢٠٠٢ : ٤١)، كون الكتاب يمثل دراسة ناضجة ومستوفية لذلك الفن البديعي، من دون الخوض في ما جاء في المصادر والكتب الأُخرى في تفصيلات وتسميات لا حصر لها، لأنَّهُ يتّضح أن "للجناس تعريفات كثيرة، وقد شرّق الأدباء وغرّبوا فيه، وقسمه المؤلفون إلى أقسام متعددة، ولذلك قال ابن الأثير: وقد تصرّف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرّقوا لاسيما المحدثين منهم، وصنّف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة..." (مطلوب، ١٩٧٥ : ٢٢٣، ٢٢٤).

وقد أورد الباحث أنواع الجناس بتعريفٍ لكلٍ منها، مع الاستشهاد بالأمثلة الشعرية لكل نوع، مثلاً الجناس التام وفيه قال: "يُدعى بالكامل أو المستوفي وهو يَشترط التطابق اللفظي التام بين الكلمات المتجانسة مع اختلاف المعنى"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٣)، من ذلك قول أبي تمام: (عزام، ٢٠٠٩ : ٧٢/١)

بِـيضٌ إِذَا انتضِـيَتْ مِـنْ حُجْبِهـا رجَعَـت أحَــقّ بــالبيضِ أترابــاً مِــنَ الحُجُــبِ

"فـ (بيض) الأولى يريدُ بها السيوف، وبالثانية يريد الجواري، وهذا الجناس تامّ لما في الكلمتين من تطابق كليّ مع اختلافهما في المعنى"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٣). أمَّا النوع الثاني وهو الجناس الناقص، فقد أشار الباحث إلى كثرة استعماله في شعر أبي تمام، "ولعل استعمال الجناس الناقص بأنواعه يبدو أكثر شيوعا في شعر أبي تمام لسهولته، ولشدة

انسياق اللفظ إليْه، إذَا ما وافق المعنى"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٤). وقد أورد عددا من أنواعه، إلا أنَّها لا تتطابق تماما مع ما جاء في كتاب فنون بلاغية للدكتور أحمد مطلوب الذي اعتمد عليه الباحث في تحديد أنواع الجناس.

ومما أورده الباحث من أنواع الجناس الناقص في بحثه هي (المختلف، والمطلق، والمضارع، والمذيّل، وجناس القلب والمجازي) (عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠)، أمَّا ما أورده الدكتور أحمد مطلوب من الوانٍ للجناس الناقص في كتابه، فهي (المختلف، والمطلق، والمركّب، والمذيّل، والمزدوج، والمصحف، والمضارع، والمعكوس) (مطلوب، ١٩٧٥ : ٢٥، ٢٦، ٢٧ ، ٢٨، ٢٩)، ويشير الباحث الى إغفال الدكتور أحمد مطلوب أنواعاً أخرى من الجناس بقوله:" إننا قد اعتمدنا د. أحمد مطلوب الذي أغفل أنواعاً جناسية أخرى موجودة في شعر أبي تمام منها ما يدعى جناس القلب" ، وهو ما أطلق عليه الدكتور أحمد مطلوب (الجناس المعكوس) ويعرفه الباحث بقوله: "وهو ما أُختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٩)، ويستشهد ببيت لأبي تمام هو: (عزام، ٢٠٠٩ : ٥٨/١) (عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٣).

تَـــدبْيرُ مُعْتَصِـــم بِـــاللهِ مُنْـــتَقِمٍ للهِ مُرْتَقِـــبٍ فـــي اللهِ مُرتَغِـــبِ

فجناس القلب الذي يقصده الباحث هو بين اللفظتين (مُرتَقب) و(مُرتَغب) في ترتيب الحروف، إلا أن اللفظين اختلفا في حرف واحد فقط(عمر ، ٢٠٠٢ : ٤٩). أمَّا فيما يخص الجناس المجازي فقد أشار الباحث إلى أن هذا النوع جديد في شعر أبي تمام إذْ "ان أبا تمام ابتدع نوعا غريبا من التجنيس أطلق عليه التجنيس المجازي"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٥٠) ومثاله في شعره(عزام، ٢٠٠٩ :١٩٩/١) (عمر ، ٢٠٠٢: ٥٠):

أعِنـــي أُفَـــرّقْ شَـــمْلَ دَمْعـــي فـــإنَّني أرَى الشَّـــمْلَ مِـــنهْمْ لَـــيسَ بالمُتَفَـــارِبِ

فكلمة (الشمل) الأولى استعملها استعمالا مجازيا أمَّا (الشمل) الثانية فكان استعمالها حقيقيا. أمَّا في فقرة (جناس أبي تمام في المعيار النقدي)، فيشير الباحث إلى أن النقاد والبلاغيين الذين درسوا فن الجناس في مؤلفاتهم، وتناولوا الجناس عند أبي تمام كانت لهم آراءٌ مختلفة فيه، والغالب على ذلك هو اتفاقهم على أن هناك صوراً مستحسنة وأُخرى مستقبحة لجناسه، ويأتي استقباحهم لها بسبب الإفراط والتكلف الذي جاء به الشاعر في نظم أبياته وترتيب ألفاظه، "إن في إفراط أبي تمام في استعمال فنون البديع قد جعله هدفا للكثير من آراء النقّاد والبلاغيين الذين يرون إن ما يلائم الطبع والمعنى من هذا الاستعمال هو الأكثر قبولا لديهم، مما قد لا يتحقق في العديد من هذه الاستعمالات البلاغية لدى أبي تمام الذي بلغ في شعره غايات الإساءة والإحسان"(عمر ، ٢٠٠٢: ٥٠ ، ٥١). فقد أحصى الباحث عددا من الآراء النقدية في فن الجناس عند ابي تمام واستشهد لكل موضع منها

بشواهد من شعره، على أن هذه الآراء التي عرضها الباحث لا تُمثّل كل ما قيل عن أبي تمام في كتب النقد والبلاغة، وقد كشف الباحث أيضا عن أسباب اهتمام البلاغيين بالجناس عند أبي تمام، وأهمها "لأنَّهُ يشكل فنّا بلاغيا متميزا... بأفكار عميقةٍ تدلّ على إدراك رائعٍ لطبيعة الاستعمال الصحيح لفنون البلاغة"(عمر ، ٢٠٠٢ : ٥٨).

وأخيرا فقد أجاد الباحث دراسة لون بديعي من ألوان البديع اشتهر وشاع في شعر الشاعر المجدد أبي تمام، شُغف به وأفرط فيه حتى أصبح مثارَ نقدٍ ودراسة لدى القدماء والمتأخرين من النقّاد لتشكيله ظاهرة مميزة وُسم بها شعره.

ونأتي الى بحث (الصورة في الشعر العربي وتأثر الشعراء بها، مسلم بن الوليد أنموذجاً) (مجلة الآداب، ٢٠٠٥: ٨٢٤) (Al-Adab Journal, 2005: 824)، للباحث أحمد علي إبراهيم الفلاحي، يتناول الصورة الشعرية في شعر مسلم بن الوليد ومصادرها المستقاة من التراث الأدبي وتأثير العصر، مع التطبيق على نماذج من شعره.

يستهل الباحث دراسته بتعريف الصورة الشعرية، وكشف ماهيتها في التجربة الإبداعية، فيعرّفها بأنها "تشكيل فني يعبّر فيه الشاعر عن تجربته الإبداعية من خلال الأفكار والعواطف والخيال بأسلوب انفعالي مؤثر"(الفلاحي، ٢٠٠٥: ٨٢٤)، ثم ينتقل إلى الصورة الشعرية في شعر مسلم بن الوليد (٢٠٨هـ)، موضّحاً المصادر التي استقى منها الشاعر صوره الشعرية، بقوله: "إن الشاعر يستمد صورة من تجربته الكاملة التي تكوّنت من تفاعل ثقافته التراثية والمعاصرة مع بيئته وظروفه الذاتية" (الفلاحي، ٢٠٠٥: ٨٢٤).

ومن الطبيعي أن يمتزج التراث الأدبي مع التجارب المعاصرة في حياة الشاعر لإنضاج شخصيته الأدبية وتوجيه شعره؛ ليستوعب صوراً شعرية تُظهر قدرة الأديب الإبداعية في نظم أشعاره، إذْ "أن حدود الأثر التراثي في الشعر لا تنفصل تماما عن الأثر الاجتماعي، وذلك أن فكرة انعزال الفرد عن المجتمع تبدو أمراً مستحيلاً؛ لأنَّهُ سواء صوّر هذا المجتمع أو صوّر نفسه، أو صوّر الحياة الإنسانية عامة، فإنّما يصدر في النهاية عن روح مجتمعه، مستمدا من الماضي ومن الحاضر وحيا لعواطفه ومشاعره" (التطاوي، ٢٠٠٣ : ٦٢).

فيبدأ الباحث بإيراد الصور الشعرية التي أخذها مسلم بن الوليد ممن سبقه من الشعراء، "من خلال استحضاره الصورة الشعرية القديمة وصياغتها صياغة جديدة تتناسب وحضارة العصر العباسي، فلم يكن مقلّدا، إنّما كان يمتلك وعيا إبداعيا أهّله لصياغة الأفكار والصور صياغة فنية جديدة" (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٥)، من ذلك قوله (الدهان، ١٩٨٥ : ١٢/٢) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٥):

قَـدْ عـوّد الطَّيْـرَ عـاداتٍ وَثِقْـنَ بِهَـا فَهـنَّ يَتْبَعْنَـهُ فـي كُـلِّ مُرْتَحَـلْ

إذْ إنَّ ملاحقة الطيور والحيوانات فكرة عربية قديمة، صوّرها عدد من الشعراء منهم النابغة الذبياني في قوله:

إذْ مـا غـزو بـالجيش حلّـق فـوقهم عصـائب طيـرٍ تهتـدي بعصـائبِ

(ابن عاشور، ١٩٧٦ :٤٦) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٥)،

وينقل لنا الباحث كذلك تأثر الشعراء بصور مسلم بن الوليد الشعرية ويبدو أن عددهم كبير، وأشهرهم أبو تمام (٢٣١هـ)، ودعبل الخزاعي (٢٤٦هـ)، والبحتري(٢٨٤هـ)، والمتنبي (٣٥٤هـ) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨)، إذْ اورد الباحث أمثلة لكل شاعر ومنها "ما قاله البحتري: (الصيرفي، ١٩٦٣ : ٧٤/١) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٧).

رَكِبـوا "الفـراتَ" إلـى الفُـراتِ وأمَّلـوا جَـذْلانَ يُبْـدِعُ فـي السَّـماحِ ويُغْـرِبُ

الذي أخذه من قول مسلم: (الدهان، ١٩٨٥ : ١١١/٢) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٨).

ركبنـا إلَيْـه البَحْـرَ فـي مؤخراتـهِ فأوفـت بنـا مـن بعـد بحـرٍ إلـى بحـرِ

"فقد أتى بالمعنى الذي جاء به مسلم، إلا أنَّهُ زاد عليه بقوله جذلان يبدع في السماح ويغرب"(الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٧)، وقد أورد الباحث مثالا شعريا للشاعر سلْم الخاسر (١٨٦هـ) يقول فيه(نجم و عباس، ١٩٥٩ : ١٠٨)، (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨):

يرمـى العجـاجُ بهـا أغـرَّ مُحَجَّـلٌ جَعَـلَ السـيوفَ مناكحـا وطلاقـا

ويدّعي أنَّهُ اخذ المعنى من قول مسلم: (الدهان، ١٩٨٥: ٣٢٨/٤) (الفلاحي، ٢٠٠٥ : ٨٢٨).

إذَا مـا نكحنـا الحـربَ بـالبيضِ والقَنـا جعلنـا المنايـا والـدماءَ طلاقهـا

أعتقد أن هذه المعلومة مشكوك في صحتها لأمر يسير، وهو أن وفاة سلم الخاسر سنة (١٨٦هـ) ووفاة مسلم بن الوليد (٢٠٨هـ)، فكيف يكون سلم قد تأثر بمسلم وهو متوفى قبله بـ(٢٢) عام؟.

وبعد الانتهاء من استعراض مادة البحث رصدت بعض الملاحظات التي أراها جديرة بالاهتمام لصالح البحث، وأهمّها أن الباحث قد أهمل جانبا مهما يمثل جوهر دراسة الصورة الشعرية على مر العصور، وهو الأساليب البيانية التي تتخذها الصور الشعرية وسائل للتعبير عنها ممثلة بالعلاقات المجازية، كالتشبيه والاستعارة والكناية "فالشاعر يبذل من جهده الفني ليخلق الصورة من خلال تلك العلاقة التي ينظرها في المشابهة الحسيّة بين الأشياء، وقد تكمن هذه العلاقة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين"(التطاوي ، ٢٠٠٣ : ٢٦).

لذا جاء تصنيفي لهذا البحث ودراسته ضمن مبحث القضايا البلاغية مبنيّاً على أساس أنَّهُ يتناول الصورة الشعرية التي تتخذ من المجاز أساسا للتصوير الشعري؛ وذلك لأنَّ الشعراء "استشعروا بحدسهم الفني ان الخاصيّة النوعية للشعر ترتد إلى شيء أعمق وأهمّ من مجرد الوزن والقافية، وهذا أمر يدل على ميل متأصل في نفوسهم جعلهم يحترمون التشبيه ويردّون إليْه البراعة في النظم الشعري" (التطاوي ، ٢٠٠٣ : ٢٧).

فالشواهد الشعرية الواردة في البحث مملوءة بالصور الشعرية التي تفتقر إلى التحليل العميق، بل يكتفي الباحث بتعليقات وجيزة على بعضٍ منها، فضلا عن أنَّهُ لم يطلعنا على أهم النتائج التي استخلصها من دراسته لصور مسلم بن الوليد ولو في بضعة أسطر، ويأتي ختام الدراسة بشواهد شعرية، وكأنها مقتطعة أو لها تتمة فيما بعد، أمَّا من ناحية المصادر المعتمدة في كتابة البحث، فقد بدا شُحّ المصادر الخاصة بالصور الشعرية واضحاً، فلم أجد سوى مصدر واحد هو (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي) لجابر عصفور على الرغم من وفرة وغزارة المؤلفات التي تتناول الصورة الشعرية قديما وحديثا.

وفي ختام البحث في الدراسات البلاغية المتعلقة بأدب العصر العباسي المنشورة في مجلة الآداب، نجد أن عدد البحوث التي تُعنى بالجانب التطبيقي يفوق عدد البحوث التي تهتم بالتنظير البلاغي لعلوم البلاغة بتتبع نشأتها، والتأصيل لمصطلحاتها، وقد اتخذ الباحثون من أشعار العصر العباسي ميداناً لدراسة الفنون البلاغية وتطبيقها، مثل تطبيقات البديع عند ابن المعتز، وفن الجناس عند أبي تمام، والتأثير والتأثّر في الصور الشعرية بين الشعراء ومنهم مسلم بن الوليد.

المصادر

١. ابن المعتز، عبد الله (٢٩٦هـ) ، (١٩٨٢): كتاب البديع، ، ط٣، دار المسيرة، بيروت.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر ، (٢٠٠٧): ديوان بشار بن برد ، وزارة الثقافة، الجزائر.
٣. الأسمر، راجي، (١٩٩٤): ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤. الآلوسي، حذام ، (١٩٧٦): تطور البديع، مجلة كلية الآداب،ع/ ١٩.
٥. الآلوسي، نوري شاكر، (١٩٨٤): البحث الأدبي ومنهجه، دار الحرية للطباعة.
٦. بدوي، احمد احمد ، (بلا . ت): عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
٧. البديع، لطفي عبد، (١٩٨٩): التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والإستطيقا)، دار المريخ للنشر، الرياض.
٨. البرقوقي ، (١٩٣٨): ديوان المتنبي شرح ، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٩. بني حمدان، غدير احمد، (٢٠٠٦): أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان.
١٠. التطاوي، عبد الله، (٢٠٠٣): الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
١١. الجرجاني، الإمام أبي بكر عبد القاهر ، (١٩٩٢): دلائل الإعجاز، (٤٧١أو٤٧٤ه)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٤، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

١٢. الجرجاني، عبد القاهر، (١٩٩١): أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١.
١٣. خفاجي، محمد عبد المنعم ، (د.ت): نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. الدسوقي ، هبة رشاد (٢٠٠٨): مظاهر التجديد في العصر العباسي الأوَّل، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم.
١٥. الدهان، سامي، (بلا . ت): شرح ديوان صريع الغواني ، مسلم بن الوليد الانصاري،(٢٠٨هـ)، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
١٦. الرازي، فخر الدين ،(١٩٨٥): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت.
١٧. سلامة، ابراهيم، (١٩٥٠): بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط١، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر.
١٨. سلمان. (١٩٩٧). الاعتراض و الزيادة في شعر ابي تمام. مجلة الآداب، (٤٣)، ١٦٥-١٧٦. https://doi.org/10.31973/aj.v0i43.2575
١٩. شريف، محمد بديع ، (١٩٧٧): ديوان ابن المعتز، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة.
٢٠. الصيرفي، حسن كامل ، (١٩٦٣): ديوان البحتري، ط٣، دار المعارف.
٢١. عباس، إحسان ، (٢٠٠٦): تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط١ ، دار الشروق، عمان.
٢٢. عباسض. (١٩٨٢). حول شيوع ظاهرة البديع في العصر العباسي. مجلة الآداب، (٣٢)، ١٣٣-١٤٦. https://doi.org/10.31973/aj.v0i32.2442
٢٣. عبد الحميد، محمد محيي الدين،(١٩٣٩):المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابي الفتح ضياء الدين ابن الاثير(٦٣٧هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ٢/ ١٦٧، ١٦٨.
٢٤. العتيق، عبد العزيز، (٢٠٠٩) علم المعاني، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .
٢٥. عزام، محمد عبدة ، (٢٠٠٩): ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ط٥، دار المعارف، القاهرة.
٢٦. عصفور، جابر، (١٩٩٢): الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت.
٢٧. العلوي، يحيى بن حمزة ، (١٩١٤): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر.
٢٨. طه عمرف. (٢٠٠٢). فن الجناس في المذهب الشعري لأبي تمام. مجلة الآداب، (٦٠)، ٣٧-٦٧. https://doi.org/10.31973/aj.v0i60.2858
٢٩. عمر، فائز طه ، (٢٠٠٤): تطور المصطلح البلاغي لدى ابن المعتز، مجلة الآداب، ع/ ٦٥.
٣٠. عيّاد، شكري ،(١٩٦٧): أرسطو طاليس في الشعر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر .
٣١. فرجد. س. (٢٠٠٩). كتاب فن الشعر لأرسطو وأثره في النقد العربي القديم. مجلة الآداب، ١(٩٠)، ٣٨٦-٤١٧. https://doi.org/10.31973/aj.v1i90.3545
٣٢. فضل، صلاح ، (١٩٩٨): نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط١، دار الشروق، القاهرة.
٣٣. الفلاحيأ. ع. ا. (٢٠٠٥). الصورة في الشعر العربي وتائر الشعراء بها مسلم بن الوليد انموذجا. مجلة الآداب، (٦٩-٧٠)، ٨٢٤-٨٣٢. https://doi.org/10.31973/aj.v0i69-70.3083
٣٤. كلاع، رشيدة ، (٢٠٠٥): الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني- بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير- جامعة منتوري، الجزائر.
٣٥. مجلد ١ عدد ١٤ (١٩٧١): العدد١٤ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq) .
٣٦. عدد ١٥ (١٩٧٢): عدد١٥ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٣٧. عدد ٣٢ (١٩٨٢): العدد٣٢ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٣٨. عدد ٣٩ (١٩٩٠): العدد٣٩ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٣٩. عدد ٤١ (١٩٩٦): العدد٤١ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٤٠. عدد ٤٣ (١٩٩٧): العدد٤٣ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)

٤١. عدد ٦٠ (٢٠٠٢): عدد٦٠ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٤٢. عدد ٦٥ (٢٠٠٤): عدد٦٥ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٤٣. عدد ٦٩-٧٠ (٢٠٠٥): عدد٦٩-٧٠ | مجلة الآداب(uobaghdad.edu.iq)
٤٤. محمد، د. احمد علي ، (١٩٩٢): الصنعة العقلية عند أبي تمام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج/ ٨٩، ج /٤.
٤٥. مصطفى، إبراهيم ، (٢٠١٤): إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
٤٦. مطلوبا. (١٩٧٢). عبدالقاهر الجرجاني - حياته وآثاره. مجلة الآداب، ١٥(١٥)، ٥-٤٥. https://doi.org/10.31973/aj.v15i15.2089
٤٧. مطلوب، احمد ، (١٩٧٥) : فنون بلاغية (البيان والبديع)، ط١، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت.
٤٨. مندور، محمد ،(١٩٩٦): النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
٤٩. ناجي، صنعة هلال، (١٩٨٤): ديوان القاضي التنوخي الكبير، مجلة المورد، مج/١٣ ، ع/ ١،.
٥٠. نجم، محمد يوسف و عباس، إحسان ، (١٩٥٩): شعراء عباسيون، غوستاف فون غرينباوم، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٥١. هارون، عبد السلام محمد (١٩٩٨): البيان والتبيين، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٥٢. هلالم. (١٩٩٠). المنظور البلاغي في نقد الشعر. مجلة الآداب، (٣٩)، ١٩٥-٢٢٦. https://doi.org/10.31973/aj.v0i39.2535
٥٣. هلالم. (١٩٩٦). التخييل والتصوير بين عبد القاهر الجرجاني والفلاسفة النقاد. مجلة الآداب، (٤١)، ١٨١-١٩٢. https://doi.org/10.31973/aj.v0i41.2552
الهيتيح. (١٩٧١). تطبيقات البديع عن ابي تمام. مجلة الآداب، ١(١٤)، ١١-٤٤. https://doi.org/10.31973/aj.v1i14.2049